الفصل الرابع

دور العقيدة الإسلامية في تعزيز الانتماء للمجتمع

(عقيدة الإيمان باليوم الآخر نموذجاً)

أ.د.صالح نعمان[1]

مقدمة

إن انسحاب كثير من المفردات العقدية من الوعي العقدي في الذهنية الإسلامية، إلى جانب التعرض للتحديات الكبيرة القادمة من الثقافة الغربية وما كرسته من فردية وأنانية يتلاشى فيها الإحساس بالانتماء للمجتمع، ويجعل وضع العقيدة يزداد سوءًا في واقع التدين الإسلامي، بما يخشى أن يؤول الأمر فيه إلى انحراف عقدي أفدح على صعيد التصديق الإيماني، وعلى صعيد الأثر العملي معاً.

فالعقيدة تقع في النفوس عند كثير منهم موقعاً باهتاً، لا يمتد أثره إلى الإرادة فيحركها لتدفع الجوارح إلى العمل إلا قليلاً وعلى تطاول في الأثر، ذلك أنها عند بعضهم انحدرت إليهم تقليداً من الآباء، ولم يكابدوا فيها معاناة التأمل لتكتسب به من القوة ما تتعدى به إلى التأثير في الإرادة، وعند بعض آخر جنحت بها مغالاة العقل في التقرير والتفصيل والمجادلة، حتى حجبتها عن التمكن من مجامع النفس لتؤثر في الإرادة، وظلت أقرب إلى الظاهرة العقلية المجردة منها إلى الفكرة المتفاعلة مع كيان الإنسان كلِّه، فتدفعه إلى إنجاز الأعمال. وسواءً

---

(1) دكتوراه في العقيدة الإسلامية، أستاذ العقيدة و الفلسفة ومدير مخبر الدراسات العقدية و مقارنة الأديان في جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، البريد الالكتروني salahnaamane@yahoo.fr

كان السبب هذا أو ذاك فقد آل مراد سواد المسلمين إلى واقعهم الراهن الذي فيه تراهم "يتسابقون في انضباط السلوك الظاهر، وفي حساب التعاويذ والأذكار،[1] وطويتهم هواء، لا تجيش بحواثّ الإيمان وعزائمه التي تحدث النهضة في واقع الحياة.

وذلك كله يدعو إلى أن تُدرَج هذه المفردات ضمن جهود التوعية العقدية، لتصبح مجدداً واقعة في وعي الأمة موقع الاعتقاد الواعي المكين في النفوس، بدلاً من الموقع الهامشي الذي تنزل فيه الآن، فلا يثمر في واقع الحياة العملية شيئاً يذكر. لذا طرأ على وحدة العقيدة والعمل انفصام بدأ خفياً ثم استفحل مع مرور الأيام، بعد أن كانت متحققة في أذهان المسلمين الأوائل.

وحقائق العقيدة ثابتة لا تتغير، وهي ليست متعلقة بظرف من الظروف أو بحال من الأحوال، فالله واحد في كل حين، والآخرة حق أبدي والإنسان مكرم في كل زمان، وهو مكلف بإقامة الخلافة في الأرض إلى يوم القيامة، وهكذا الأمر في كل حقيقة من حقائق العقيدة، فإن أحكام العقيدة وضعت لتتصف بالإطلاق الذي لا تقيده الظروف. وهي من ثَمَّ المحدد الأصلي للهوية الإسلامية، وهي المحرك الأساسي لحركة التحضر، والطابعُ له بطابعها المميز، فمدلولها إذًا بحسب ما يكون تصوره في الأذهان سعةً وضيقاً، ووضوحاً وغموضاً، يكون عمل العقيدة في النفوس تحقيقاً للهوية الإسلامية فيها، ودفعاً لها إلى التعمير في الأرض والخلافة فيها، وذلك بمقتضى كون العقيدة الإسلامية هي التي تقوم مقام الفكرة الدافعة إلى التحضر.

وعلى سبيل التوضيح، فإن عقيدة يمتد مدلولها ليشمل تحديد مهمة للإنسان في حياته: مهمة التعمير في الأرض، فيكون أصلاً من أصولها، سيكون أثرُها في

---

(1) النجار، عبد المجيد. "دور الإصلاح العقدي في النهضة الإسلامية"، **مجلة إسلامية المعرفة**، س1،ع1، يونيو 1995م، ص58 وانظر:

– النجار، عبد المجيد. والشابي، علي. وأبو لباب، حسن. **المعتزلة بين الفكر والعمل** (بالاشتراك)، تونس: الشركة التونسية للتوزيع، 1986م.

النفوس، طبعاً لهويتها وتحديداً لعلاقتها العملية بالكون، أثراً مختلفًا لا محالة عن الأثر الذي تحدثه تلك العقيدة لو انحسر مدلولها عن تحديد هذه المهمة للإنسان، فأهملت، أو اندرجت ضمن تعاليم ثانوية في نطاق التشريعات العامة. وإذن فإن مدلول العقيدة كما تتصوره الأذهان، سعةً وضيقاً، له بالغ الأثر في تحديد المسلك العملي الناشئ عنها.

ولو تأملت أوضاع المسلمين من حيث مدلول العقيدة في أفهامهم، كما انتهى إليه الأمر منذ قرون، وكما هو الأمر اليوم عند عامة المسلمين، بل عند كثير من خاصتهم المتعلمين، وعند بعض من المختصين في علوم الدين، لو تأملت ذلك لوجدت أن هذا المدلول يتركز على القضايا الأساسية في العقيدة، وهي الإيمان بالله، والنبوة، والوحي، والملائكة، والقدر، واليوم الآخر، وما هو مندرج ضمنها، وأنه لا يتسع لمقتضياتها السلوكية وأبعادها النفسية والاجتماعية، التي تعد غاية تلك القضايا الأساسية. فهذه المقتضيات العملية وأمثالها مع ما لها من مدخل في تحقق الإيمان وعدمه، إلا أنها لا تدخل اليوم عند الكثير من المسلمين ضمن دائرة المدلول العقدي، وإنما هي عندهم إما مسائل شرعية لا ترقى إلى درجة الاعتقاد، أو يكونون غافلين عنها، ولا تراها تدرج في اهتماماتهم التعليمية والدعوية ضمن المؤلفات والبيانات العقدية.

وقد أدى هذا الانحسار في مدلول العقيدة في الذهنية الإسلامية إلى نزوع هذا المدلول منزعاً تجريدياً، ابتعد به عن وجوه الحياة العملية، فأصبحت الأذهان تنصرف في تحمّلها للعقيدة إلى عالم الغيب، دون وصل له بعالم الشهادة، وكأنما الاعتقاد يقتصر على الاعتقاد بالغيب، وكان لذلك انعكاس سيء على الحياة العملية للمسلمين؛ إذ تقاعسوا عن الاندفاع نحو التعمير في الأرض باستثمار الكون، وترقية الإنسان بالحرية والعدالة والسعي الدؤوب لتحقيق الخلافة، فهذه مسائل خارجة في دائرة الوعي عن أن تكون مسائل عقدية، وماذا يدفع توجيه الحياة إليها إذا لم يكن إيمان بأنها من صلب العقيدة الإسلامية؟ ويشيع اليوم

في دوائر كثير من الدعاة والمؤسسات الدعوية والتعليمية الدينية، فضلاً عن دوائر العامة من المسلمين، الاهتمام الكبير لمسألة الجن بوصفها مسألة عقدية، في حين لا تدرج ضمن ذلك الاهتمام العقدي مسألة العدالة الاجتماعية، أو مهمة الخلافة التي تُعزِّز بفقه الانتماء إلى المجتمع والأمة في صورة متكاملة غير متناقضة، فكيف إذن يمكن أن تتجه حياة المسلمين في اتجاه النهوض الحضاري؟ وكيف لا تبقى العقول مشدودة نحو المجرد دون قدرة على الفعل في الواقع؟

ومن ذلك يتبين أن الضرورة تدعو إلى توظيف عوامل الدفع للفعل الحضاري، وذلك بترشيد جهود الأمة في تحملها لمدلول العقيدة، وتوسيع هذا المدلول في الأذهان ليشمل دائرة من المسائل أفسح من هذه المسائل التي يشملها الآن، ولتكون صورته في النفوس حقيقةً في واقع الأمر كما جاء في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، مثل صورته التي كان عليها في أذهان أوائل المسلمين، حينما كانوا يفهمون انطلاقهم في الآفاق لنشر الدعوة وتحرير العباد من الطواغيت، والتعمير في الأرض على أنه جزء من مدلول العقيدة، فكان انطلاقهم فاعلاً، وإنجازهم الحضاري مشهوداً، وما كانوا في ذلك الفهم لمدلول العقيدة إلا صادرين عن روح القرآن الكريم والحديث الشريف في تَعْدية هذا المدلول إلى دائرة واسعة من تعاليم الدين ذات البعد العملي، هي أوسع بكثير من تلك التعاليم ذات البعد النظري، وإن تكن هي الأساس الأول للاعتقاد.

لقد جاء في القرآن المكي، وهو المؤسس للعقيدة في النفوس، وصل دائم بين حقائق الوحدانية والبعث والنبوة من ناحية، ومفاهيم اجتماعية مثل كفالة اليتامى والمساكين، وحب الوطن والقيام بالعمل الصالح، من ناحية أخرى، وفي ذلك أبلغ الدلالة على تعدية دلالة العقيدة إلى مثل تلك الحقائق.[1]

---

(1) النجار، عبد المجيد. دور الإصلاح العقدي في النهضة الإسلامية، **مجلة إسلامية المعرفة**، مرجع سابق، ص66.

أولاً: حقيقة العقيدة (فكر وسلوك: تصديق وعمل)

ولما كانت حقيقة الإيمان هي تصديق بالجَنَان، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان، لم تكن العقيدة الإسلامية مفاهيم تنحصر قيمتها في التصديق القلبي، مع أنَّ هذا التصديق جزء من الإيمان بها فحسب، بوصف أنّ معرفة الحق والإيمان به فضيلة مطلوبة في ذاتها. لكن الجزء الأهم من العقيدة هو ما يحدثه الإيمان بالعقيدة من أثر شامل في حياة الإنسان الفكرية والعملية. وتلك نقطة فارقة بين العقيدة الإسلامية وسائر العقائد في المذاهب والأديان.

فالاعتقاد هو التصديق بمفردات العقيدة، تصديقاً يشمل حقيقتها في ذاتها كما يشمل صلاحها للإنسان وخيريَّتَها المطلقة لحياته. وللاعتقاد -في حلوله بالنفس- درجاتٌ يقوم وسطها خط فاصل بين نوعين منها: نوع يبقى الاعتقاد فيه حبيس الذهن، ولا يكون له سلطان على إرادة الفعل، ويمكن أن نسميه بالاعتقاد الساكن، ونوع يتقوى فيه الاعتقاد حتى يتعدى إلى الإرادة، فيكون له سلطان عليها يحركها به، لتنطلق في إنجاز الأعمال، ويمكن أن نسميه بالاعتقاد الفاعل.

وقد كانت مذاهب اليونان الفلسفية تَعدُّ معرفة الحق فضيلةً قائمة بذاتها، ولا تضفي على آثارها العملية قيمة تذكر، وذلك بما هي في عمومها مذاهب نازعة إلى التجريد، عازفة عن الأعمال، ولكن العقيدة الإسلامية جاءت بمفهوم آخر تتحدد قيمة الاعتقاد بآثاره العملية، فأصبح فيه التصديق الذهني بالعقيدة ليس معتبراً في ذاته إلا قليلاً، وإنما قيمته تكتمل حقاً بما يؤدي إليه من الأعمال، وذلك ما أشار إليه ابن خلدون في قوله معبراً عن العقيدة بالتوحيد: "إن المعتبر في هذا التوحيد ليس هو الإيمان فقط الذي هو تصديق حكمي، فإنَّ ذلك من حديث النفس، وإنما الكمال فيه حصول صلة منه تتكيف بها النفس، كما أن المطلوب من الأعمال والعبادات أيضًا حصول ملكة الطاعة والانقياد، وتفريغ القلب عن شواغل ما سوى المعبود حتى ينقلب المريد السالك ربانيًا. والفرق بين الحال والعلم في العقائد

فرق بين القول والاتصاف."[1] والمقصود بهذه الصفة التي تتكيف بها النفس ذلك السلطان الذي يكون للعقيدة على الإرادة، فيوجهها في طريق الأعمال. فكان المطلوب إذن "في التكاليف كلها حصول ملكة راسخة في النفس يحصل عنها علم اضطراري للنفس، هو التوحيد، وهو العقيدة الإيمانية وهو الذي تحصل به السعادة، وأن ذلك سواء في التكاليف القلبية والبدنية."[2] فابن خلدون جعل محور العلوم الإسلامية الإنسان المكلَّف الذي يتحتم عليه معرفة أحكام الله تعالى المفروضة عليه حتى يستقيم تصوره ويعتدل سلوكه.

وفي نصوص القرآن والحديث تأكيد مستمر لهذه الحقيقة، وإرشاد دائم إليها، فالله تعالى يعلم سرعة ما يقع للناس من الانحراف بالفصل بين الاعتقاد وبين العمل الفكري والسلوكي، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [آل عمران: 191]، حيث يجعل التفكر في خلق الله تعالى من مظاهر الكون بُعداً من أبعاد الإيمان بالله، وقوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [النور: 55] يقرن الإيمان بالعمل الصالح إقران تلازم يترتب عليه الجزاء المتمثل هنا في تحقيق الاستخلاف. فالإيمان بالعقيدة في الآيتين هو إيمان يمتد كي تكتمل قيمته إلى الفكر والسلوك معاً. وتحقيق هذا التكامل بين الفكر والسلوك الراشدين في الإسلام لا يكون إلا بتأطير عقدي سليم لهما.

إنَّ العقيدة هي الدافع الأكبر نحو العمل، وذلك بوصف ثقلها في النفس؛ إذ هي المشكِّلة لهويتها المعنوية الثقافية. وحينما تكون هي المؤطر للتفكير ولكل أنواع السلوك بحيث لا يكون شيء منها إلا وهو منبثق عنها، وراجع إليها، وخاضع لتوجيهها، فإنَّ ذلك من شأنه أن يؤدي إلى أمرين؛ كل منهما له أثره في العمل على الدفع نحو حسن الإنجاز وكفاءة الأداء.

---

(1) ابن خلدون، عبد الرحمن. **المقدمة**، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، القاهرة: مكتبة نهضة مصر، 2004م، ج3، ص 969.

(2) المرجع السابق، ج3، ص 970.

أما الأول فهو أنَّ التأطير العقدي للتفكير والأعمال يضمن السداد في كل منهما، ويعصم من أن ينحرف إلى ما يناقض أصل العقيدة ومقتضياتها، ليسقط في متاهات تهدر الطاقات ولا تعود من المنفعة بطائل. وأما الثاني فهو أنَّ التأطير العقدي للفكر والعمل يكسب كلاً منهما في النفوس قوة تأثير متأتية من قوة العقيدة نفسها، فإذا كان للعقيدة في النفوس مهابةٌ تخضع بها لمقتضياتها من الأعمال، فإنَّ الأفكار ومجاري السلوك حينما تكون مؤطرة بالعقيدة، منبثقة منها وموجهة بها، فإنها تكتسب في النفوس شيئاً من تلك المهابة التي تضفي عليها الجد في التنفيذ والنجاعة فيه.

والمقصود بالتأطير العقدي للفكر هو أنّ الفكر يسبق العمل، وليس العمل إلا نتاجاً للفكر. ولا يكون الفكر الإسلامي رشيداً إلا إذا كان موصولاً بالاعتقاد، صادراً عنه، ويتم ذلك بأن يكون المسلم في كل ما يفكر فيه لإنتاج الرؤى والتصورات والمخططات والمشاريع مستحضراً للعقيدة الإسلامية، استحضاراً تكون به تلك العقيدة حالاً له، لا مجرد مفردات يحملها ذهنه. فاقتضى هذا الأمر تقديم تصور صحيح للعقيدة الإسلامية.

أما التأطير العقدي للعمل فلا يغُني عن التأطير العقدي للفكر، ذلك أن العمل إذا لم يكن موجهّاً توجيهاً عقدياً مباشراً فإنه قد يطرأ عليه انقطاع عن مفاهيم العقيدة، حتى وإن كان الفكر الذي هو امتداد له مبنياً بناء عقدياً، فما أيسر ما ينحرف السلوك العملي عن الصورة الذهنية الحاصلة بالفكر، حتى وإن كانت صورة مؤطرة تأطيراً عقدياً. ولعل هذا هو أحد معاني الحديث النبوي الذي فيه تعوّذ من علم لا ينفع،[1] فهو تعوّذ من صورة ذهنية تكون صحيحة في ذاتها مبينة على مقتضيات عقدية، ولكن العمل التطبيقي عند حاملها لا يجري على حسبها، بل يجري منحرفاً عنها، مقطوع الصلة بموجهها العقدي فلا يكون له نفع. وربما

(1) القزويني، محمد بن يزيد. **سنن ابن ماجه،** تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار الفكر، باب الانتفاع بالعلم و العمل به، ج1 حديث رقم 250، ص92. وصححه الالباني

كان الخلل الأفدح الذي يصيب المسلمين منذ زمن هو انقطاع الأعمال عن موجهاتها العقدية، أكثر مما هو انقطاع أفكارهم عنها.

ولو ارتفعنا بهذا الأمر في التأطير العقدي للعمل من حالة الفردي إلى حالة العمل الجماعي الذي تقوم به الأمة بإشراف وترتيب من نوابها في مستوياتهم المختلفة لتحقيق المصالح العامة، لو ارتفعنا بذلك ما وجدنا الأمر مختلفاً، فالأعمال العامة التي تقوم بها الأمة ينبغي أن تصدر عن مبادئ العقيدة، وأن تتوجه بوجهتها، بعد أن يكون الفكر الذي سبق تلك الأعمال قد صدر عن تلك المبادئ وتوجه بوجهتها. وهكذا تكون إنجازات التصنيع، ومشاريع الري وبناء المدن، وتجييش الجيوش جارية على مقتضى العقيدة، يطرأ عليها التعديل بحسب تلك المقتضيات. ولكنها تبقى دوماً موصولة بها موجهة بوجهتها.

ومن البين أن العقيدة لما تحل في النفوس محل الجزم القاطع المتأتي بالنظر والتدبر فإنَّ أثرها في الإرادة يكون أبلغ؛ إذ اليقين الذاتي هو الذي يكون له من قوة الوقع في النفوس ما يحرك الإرادة لتنطلق في الإنجاز، فسيكون إذن رفع الوضع الإيماني للمسلمين من حال التقليد إلى حال الإيقان الجازم الناشئ بالنظر، على أقدارهم فيه، من شأنه أن يؤثر في الإرادة الفردية والجماعية تأثيراً تتجه به للنهوض العملي بالمقتضيات التي يقتضيها الاعتقاد سواء في مباشرة الكون بالاستثمار، أو بترقية الذات الفردية والجماعية للإنسان.

ولذلك فإنَّه كان لزاماً أن يمتد ترشيد الاعتقاد ليشمل علاقة العقيدة بالإرادة الفاعلة، فتكون هذه العلاقة علاقة فعل وانفعال، تثمر إنجاز العمل الصالح المؤسس للنهضة، وربما يكون هذا الترشيد متمثلاً بالأخص في أمرين أساسيين:

الأمر الأول هو الجزم الاعتقادي؛ فالإرادة الفاعلة لا يحركها التحمل العقدي إذا كان حاصلاً في النفس على درجة من الشدة والقوة، بحيث يتولد من الإيمان بالحق حواثّ تحث الإرادة على دفع الجوارح إلى الفعل في الإرادة، إلا إذا كانت متأتية بالاقتناع الذاتي الحاصل بمعاناة التأمل والتدبر في مفردات تلك العقيدة، أو في مبادئها الأساسية على الأقل.

والأمر الثاني هو الإحياء الروحي للاعتقاد؛ فالإيمان بالعقيدة يتحمله المسلم بالتصديق والإذعان، وقد كان المسلمون الأوائل يصدقون ويذعنون بكافة الطاقات في ذواتهم: عقلية وروحية وعاطفية، فما أن ينبلج الإيمان في النفس حتى تتضافر على تحمله مدارك العقل، مع أشواق الروح، مع منازع العاطفة، فإذا العقل يسلّم بوجود الله تعالى وصفاته، وتنزع العواطف إلى محبته وخوفه ورجائه، وتهفو الروح إلى لقائه، وهكذا الأمر في كل عقيدة. ومن هذا الوضع في تحمل الإيمان تتكون شدة له في النفوس؛ فيأخذ بمجامعها، ويدفع بالإرادة دفعاً قوياً إلى العمل والإنجاز، وذلك سر من أسرار تلك القفزة الحضارية المشهودة في ذلك الزمن القصير.(1)

ثانياً: طبيعة الانتماء للمجتمع في العقيدة الإسلامية

إنّ ضعف الإيمان الناتج عن التصور العقدي الخاطئ أو عدم امتداد ترشيد الاعتقاد ليشمل علاقة العقيدة بالوجدان والإرادة الفاعلة، يثمر تفريطًا في هذا الانتماء، في حين يعمل ترشيد الاعتقاد لتصحيح التصور وتقويم السلوك من الوسائل الأساسية لتعزيز روح الانتماء للمجتمع. ويكون الانتماء القائم على العقيدة السليمة ضمن حدود مراتب التقوى والبر والإحسان، وضمن حدود طاعة الله والرسول، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق عز وجل.

ولهذا الانتماء حدود، فما زاد على حدود كمال الانتماء فهو غلوٌّ مذموم، قد يفضي إلى الكفر أو إلى الفسوق أو الوقوع في الإثم والهبوط في درجات مرتبة التقوى، والزهد في مرتبتي البر والإحسان. والنقص عن حدود الانتماء المطلوب تفريط مذموم.(2) وهو الظاهرة قيد الدراسة، المتمثلة في الجفوة الواضحة التي

(1) النجار، عبد المجيد. دور الإصلاح العقدي في النهضة الإسلامية، **مجلة إسلامية المعرفة**، س1، ع1، يونيو 1995م، ص78.

(2) حبنكة، عبد الرحمن حسن الميداني. **بصائر للمسلم المعاصر**، دمشق: دار القلم، ط3، 1420هـ/2000م، ص359-255.

نجدها بين تفكير كثير من الأفراد ومشاعرهم، وممارساتهم وطموحاتهم، من جهة؛ ومصالح المجتمع، وقضايا الأمة، من جهة أخرى. وإنَّك لترى ذلك عند النظر إلى تخطيط الفرد لمستقبله، واختياره لمهنته، وإتقانه لعمله، وتطويره لكفاءاته وخبراته، وجهوده في إصلاح الواقع المحيط به؛ إذ تغلب على ذلك -في كثير من الأحيان- الروحُ الفردية والطموحاتُ الأنانية، بعيداً عن أيِّ خدمة مباشرة لمصالح المجتمع والأمة، كما يغلب عليه غيابُ الجهد الإيجابي المخلص في تطوير بيئته الاجتماعية والمادية، وضعفُ روح العمل مع الجماعة والمؤسسات، والسلبيةُ في تلبية الدعوة إلى التعاون مع الآخرين في مجالات الخدمة العامة. إنه غياب أو ضعف روح الانتماء عند هؤلاء الأفراد، لمجتمعهم وأمتهم، الذي أفضى عند كثير منهم إلى الإهمال واللامبالاة، وأخطر من ذلك أدى إلى الخيانة والردة والتكفير فاختلفت القلوب، واقتتلت الأمَّة وسفكت الدم الحرام. وكان في كتاب الله -لو أحسنت الأطراف كلّها الرجوع إليه- مخرج من هذا الوضع وتلك الفتن.

وقد بيَّن القرآن بيانًا شافيًا أنَّ الأمم التي "بنيت بالوحي الإلهيِّ" إذا طال عليها الأمد قست منها القلوب؛ أولاً: تُغرى بينها العداوة والبغضاء، وثانيًا: تحكِّم السيف في رقاب بعضها بعضًا، ثالثًا: ولن ترفع أسيافها عن رقاب بنيها، حتى تعود -وهي صادقة خالصة- إلى كتاب ربها، وتحكِّمه تحكيمًا شاملاً في شؤونها وشجونها، وتُعيد بناء علاقاتها به ومعه.[1]

إنّ دور العقيدة الإسلامية في تعزيز الانتماء يتجلى في الترشيد العقدي للتصور والسلوك، وتحقيق التكامل بين دوائر الانتماء ومقتضياته العملية؛ إذ الانتماء للدين يثمر التقوى فيراقب الفردُ اللهَ تعالى في السر والعلانية، وتتحقق الطمأنينة والفاعلية الاجتماعية، مما يمتِّن مشاعر الانتماء للمجتمع ومظاهره، فيثمر تنمية شاملة مستقلة في كل مجالات الحياة، ويصبح لمفاهيم الشهادة على

(1) العلواني، طه جابر. **نحو بناء علاقة سليمة بين القرآن وأمَّة القرآن**، الموقع الإلكتروني للدكتور طه العلواني. بتاريخ: 22/5/2010م، http://www.alwani.net/articles_view.php?id=72

الناس، والخيريَّة من بينهم، وأحاديث الجسد الواحد، والسفينة، شأنٌ يؤْثر في الواقع، فيرقى هذا الانتماء إلى مستوى الأمة، وإلى مستوى الإنسانية، ويسهم في تحقيق مهمة التعمير والاستخلاف.

والانتماء للأمة يمثِّل جامعةَ الدين، التي جعلها الإسلام الجامعة الحق للمسلمين، وأبقى ما عداها من الجوامع فرعية، صالحة، ما لم تَعُد على الجامعة الكبرى بالانحلال. ورابطة الدين الحق هذه رابطة مقدسة في الإسلام تصغر أمامها الروابط كلها؛ إذ دعا الإسلام الناس أتباعه ليكونوا أمة واحدة، تجمعها وحدة الاعتقاد والتفكير والعمل الصالح، حتى يستتب للمسلمين إقامة هذه الجامعة (الأمة الإسلامية)، فلا تخترقها جامعة أخرى تثلمها.[1] قال تعالى: ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى: 13]. وأمر الله تعالى بدحض بقية الجوامع كالقومية والشعوبية والقبلية والحزبية ورابطة الدم وغيرها، إذا كانت مضادة لهذه الجامعة، قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: 22].

لما جعل الله عز وجل الإنسان كائنًا مكلفًا -يجعل مواقفه العملية وفقًا لما يريده الله ويرضاه أو عكس ذلك (حمل الأمانة)-، كان كائنًا هادفًا ترتبط مواقفه العملية هذه بأهداف يعيها ويتصرف بموجبها، وهذا جعله في مواقفه العملية هذه ليس مسيرًا، فكانت عبادته لله اختيارية ابتلائية، يقول الله تعالى: ﴿تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: 1-2]. فلكي يكون الإنسان هادفًا لا بد أن يكون حرًا في التصرف ليتاح له أن يتصرف وفقًا لما تنشأ في نفسه من أهداف، فالترابط بين المواقف العملية والأهداف هو القانون الذي ينظم ظاهرة الاختيار لدى الإنسان.

---

(1) ابن عاشور، محمد الطاهر. **النظام الاجتماعي في الإسلام**، تونس: دار سحنون، ط2، 2006، ص102-97.

والهدف لا يوجد بصورة عشوائية، فكل إنسان يحدد أهدافه وفقًا لما تتطلبه مصلحته وذاته من حاجات، وهذه الحاجات تحددها البيئة والظروف الموضوعية التي تحيط بالإنسان، التي من أهمها انتمائه العقدي والاجتماعي، وهذه الأخيرة التي تحركه عن طريق الإثارة، ترتبط بإدراك الإنسان للمصلحة في موقف عملي معين. ولكن ليست كل مصلحة تحقق إثارة للفرد وإنما تحققها تلك المصالح التي يدرك الفرد أنها تحقق مصالح له بالذات، وذلك أنّ المصالح على قسمين: فهناك مصالح على خطٍّ قصير تعود بالنفع غالباً على الفرد الهادف العامل نفسه، ومصالح على خطّ طويل تعود بالنفع على الجماعة، وكثيراً ما تتعارض مصالح الفرد ومصالح الجماعة. وهكذا نلاحظ من ناحية أنّ الإنسان غالباً لا يتحرك من أجل المصلحة لقيمها الإيجابية، بل بقدر ما تحقّق له من نفع خاصّ، ونلاحظ من ناحية أخرى أنّ خلق الظروف الموضوعية لضمان تحرك الإنسان وفق مصالح الجماعة شرط ضروري لاستقرار الحياة ونجاحها على الخطّ الطويل، وعلى هذا الأساس واجه الإنسان تناقضاً بين ما تفرضه سنّة الحياة واستقرارها من سلوك موضوعيّ واهتمام بمصالح الجماعة، وما تدعو إليه نوازع الفرد واهتمامه بشخصه من سلوك ذاتيّ واهتمام بالمنافع الآنيّة الشخصية.

ولما كانت مصالح الفرد الذاتية متعددة متنوعة وغير متناهية، وفي الوقت نفسه كانت حياته محدودة متناهية، وشعوره بتعذر تحقيق تلك المصالح أو استبطائها، سعى كثير من الناس في غياب روح الانتماء والاهتمام بمصالح الجماعة -التي من أسبابها الغفلة عن الموت والحياة الآخر- إلى تجاوز مصالح الجماعة وإهمالها، والتحرك والسعي من أجل المصلحة الخاصة بتحقيق أكبر عدد ممكن من تلك المصالح في أقصر مدة ممكنة، ما يجعله يتصادم مع الجماعة فيتمرد عليها بكل وسيلة تسوّغ غايته، أو ينسحب من معترك الحياة انطواءً أو انتحاراً.

فكان لابدّ من صيغة تحلّ هذا التناقض، وتخلق تلك الظروف الموضوعية التي تدعو إلى تحرّك الإنسان وفق مصالح الجماعة؛ والنبوّة بوصفها ظاهرةً ربّانيةً في حياة الإنسان هي القانون الذي وضع صيغة الحلّ هذه، بتحويل مصالح الجماعة وكلّ المصالح الكبرى التي تتجاوز الخطّ القصير لحياة الإنسان إلى مصالح للفرد على خطّه الطويل، وذلك عن طريق إشعاره بالامتداد بعد الموت، والانتقال إلى ساحة العدل والجزاء التي يحشر الناس فيها لِيُرَوا أعمالهم: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة: 7-8]; وبذلك تعود مصالح الجماعة مصالحَ للفرد نفسه على هذا الخطّ الطويل[1] فتكون بذلك أعماله الصالحة هذه عبادة، لأنَّ الدافع للمسلم إلى العبادة لا يكون هو ما فيها من حظ شهوة النفس؛ إذ الواجب في إصلاح الأعمال الشرعية أن يكون الغرض الأهم منها تزكية النفس وتحصيل المصالح، وتكون الحظوظ الأخرى تابعة لذلك.[2]

وقد ربط الله عز وجل في القرآن الكريم بين صلاح الدنيا والإيمان باليوم الآخر بدليل قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: 177] فبين سبحانه أنَّ أساس البر والخير والصلاح الخلقي والنفسي والاقتصادي في المجتمع البشري هو الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والرسل.

ومن ثَمَّ يكون الكفر بالله وباليوم الآخر أو الغفلة عنهما أساس الفساد السياسي والاقتصادي والنفسي والخلقي في الأرض، قال عز وجل: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾.[البقرة: 217]

---

(1) الصدر، محمد باقر. **موجز في أصول الدين**، بيروت: دار الزهراء، (د.ت.)، ص74-71.

(2) ابن عاشور، **النظام الاجتماعي في الإسلام**، مرجع سابق، ص 74.

إن الإيمان باليوم الآخر من مقتضيات الفطرة السّليمة، فكلّ إنسان يُفكر في هذا الكون دون تحيُّز إلى أهوائه، يصل إلى أنَّ كل ما في الكون من حياة وموت، وشروق وأفول، وقوة وضعف، يدلّ على أنَّ الكون صائرٌ إلى زوال، وأن العقل السّوي والفطرة السليمة لا يستسيغان أن تنقضي الحياة وتنتهي دون تمييز بين العادل والظالم، والمحسن والمسيء، والصَّالح والطَّالح، فيكونون جميعاً سواءً، بل لا بدّ من يوم يُجازى فيه المُحسنون على إحسانهم، ويُعاقب فيه المسيؤون على إساءتهم.

ومن ثَمَّ فإنَّ أثرَ ذلك في الإنسانِ أثرٌ عظيم، في أَنَّهُ ينظرُ ويزنُ هذه الحياة بميزانٍ خاص، فنجد أنَّ حياة الفرد في ظل الإيمان باليوم الآخر مفهومة المقدمات، معلومة النتائج، ليس أمام الإنسان في هذا الوجود ألغاز أو أساطير وخرافات، فتصبح المتناقضات مقبولة للعقل. وتعلل عقيدة اليوم الآخر للإنسان وجود الظلم والفقر والخوف والمجاعات في هذه الحياة الدنيا بجانب وجود العدل والغنى والأمن والنعيم فيها؛ إنَّ الظالم إذا مات دون عقاب فعقابه في الآخرة، والمظلوم إذا مات دون أن يأخذ حقَّه فسيأخذُ حقَّه في الآخرة، فيستبدل الحب والإيثار والاندماج الاجتماعي بالكراهية والبغض والانتقام والأنانية، فيعزز لدَيْه الإخلاص لدِينِه وتنمو مشاعر الانتماء لمجتمعه ووطنه، واحترام الإنسانية، فيحب لنفسه ما يحب لغيره، كما علّمه رسوله الكريمﷺ عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه."[1]

أما عقيدة الكفر باليوم الآخر فإنَّها تضع أمام الإنسان آلاف الأسئلة التي يعجز أصحابها عن الإجابة عنها، فتصبح الحياة الدنيا لديهم بلا معنى ولا مغزى، فينظر الفرد للآخر على أنَّه هو الجحيم كما يقول الوجوديون، لأنه يعيق تحقيق مصالحه، فيغرق في الأنانية وينمو لديه البغض والحسد، وروح الانتقام من

(1) البخاري، محمد بن إسماعيل. **الجامع الصحيح المختصر**، تحقيق: مصطفى ديب البغا، بيروت: دار ابن كثير، الطبعة الثالثة، 1407هـ/1987م، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، حديث رقم13، ج1، ص14.

المجتمع، والكراهية للوطن، فتصبح الحياة جحيمًا وطلاسم، كما عبر عنها إليا أبو ماضي في طلاسمه.[1]

وبالإسلام وحده يصبح الإنسان يدري سبب وجوده، ودوره في هذا الوجود وإلى أين المصير. وفرق بين من يدري ومن لا يدري: ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة الملك: 22].

ثالثاً: مجالات تأثير عقيدة الإيمان باليوم الآخر في تعزيز الانتماء

إنَّ الترابط بين العقيدة والقيم الاجتماعية العليا حقيقة تبرزها كثير من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، التي تقرن الإيمان بالله واليوم الآخر وعموم الغيب بالعمل الصالح، كما تربط بين الصلاة والزكاة والإنفاق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والولاية والبراءة، والتمكين في الأرض، وطاعة الله والرسول والأولياء، وغيرها من المبادئ الإسلامية السامية، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[سورة البقرة: 3]، ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ [التوبة: 71]، ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [الحج:41].

إنَّ الإيمان كما يمنح المسلم حقوقاً على الآخرين، يرتب عليه واجبات ومسؤوليات دينية واجتماعية يعبر عنها الفقه الإسلامي بـ (حقوق الله وحقوق العباد) وهي متنوعة بتنوع مجالات الحياة وحاجاتها. وغنيٌّ عن القول إنَّ مفاهيم العمل الصالح والمعروف والخير تحمل مدلولات اجتماعية مرنة، ولا تتوقف عند تعريفات معينة أو مصاديق معدودة، فهي تشمل ابتداءً الكلمة الطيبة وإعانة المحتاج ورعاية اليتيم على المستوى الفردي، ومروراً بإقامة الأعمال

---

(1) إشارة إلى قصيدة له بعنوان: "الطلاسم" وجاء فيها قوله: جئتُ لا أعلم من أين ولكني أتيتُ.. ولقد أبصرت قُدّامي طريقا فمشيتُ .. وسأبقى ماشيًا إن شئت هذا أم أبيتُ ..كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقي؟ لست أدري!

المؤسساتية الإنسانية،[1] وانتهاءً بإقامة العدل والقسط، وإشاعة الأمن النفسي والاجتماعي في المجتمع البشري، ومناصرة قضايا الحق والعدل.

وكذلك الحال بالنسبة للمنكر، فهو يشمل المنكرات الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والأخلاقية، كافة، سواء أكانت تمارس على المستوى الفردي أم المؤسساتي أم الجماعي، ومن هنا تنوع الخطاب القرآني تجاه القيام بفريضتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتنوع التصنيف الفقهي لهما إلى عَيْنِيٍّ وكِفَائِيٍّ جماعي.

إنَّ العقيدة ومضمونها الاجتماعي لا ينفصلان في القرآن الكريم، كما نلاحظه في كثير من السور والآيات القرآنية التي تشدد في التأكيد على هذه القضية، كسورة الماعون التي نقرأ فيها: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون: 1-7]، **ويعدد** القرآن الكريم موجبات استحقاق العقاب الأخروي على لسان بعض الذين استحقوه: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [المدثر:42-46].

ويبلغ هذا التلاحم بين الإيمان ومضمونه الاجتماعي والإنساني ذروته في القرآن الكريم، عند ربطه بين القتال في سبيل الله والقتال في سبيل المستضعفين من الناس، يقول سبحانه: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾[النساء: 75]. وسبيل الله هو التعبير التجريدي عن السبيل لخدمة الإنسان، وسبيله سبحانه وتعالى دائماً يعادل من الوجهة العملية سبيل الإنسانية جمعاء، وكلما جاء سبيل الله في الشريعة أمكن أن يعني ذلك تماماً في سبيل الناس أجمعين.

---

(1) مكرم، عبد العال سالم. **أثر العقيدة في بناء الفرد والمجتمع**، قسنطينة: مؤسسة الإسراء، ط2، (د. ت.)، ص127.

ولا يخفى أن عقيدة المعاد تضفي على الحياة الإنسانية أبعادها الحقيقية، بوصفها محطة ومرحلة من مراحل الوجود الإنساني وليست نهاية المطاف، ومن ثم تُبْعِد عن الحياة شبح العبثية والفوضى، وما يترتب عليها من قيم وممارسات فاسدة وجائرة، سواء على مستوى الفرد أو المجتمع.

إنها العقيدة التي يكمن فيها جوهر المسؤولية الأخلاقية، وفلسفة الإلزام الخلقي، والتوازن بين المصالح الفردية وقيم الغيرية، بالإضافة إلى أنها تمثل التجسيد الحقيقي لهدفية الخلق. يقول سبحانه: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون: 115]. كما أن عقيدة المعاد تختزن في عمقها مدلولات العدالة الكونية، وإحقاق الحق، والانتصاف للمظلوم من الظالم، ومن هنا أطلق القرآن الكريم على يوم القيامة أنه (يوم الفصل). يقول سبحانه: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ﴾ [الأنبياء: 47].

إن عقيدة المعاد توقظ في الإنسان الشعور بالمسؤولية أمام ربه، وتجاه نفسه والناس، الأمر الذي ينعكس على ممارساته وعلاقاته مع الآخرين. ونثبت فيما يلي أهم آثار الإيمان باليوم الآخر في تعزيز الانتماء للمجتمع.

1 - الانتماء للمجتمع الصغير (الأسرة)

الأسرة هي اللبنة الأولى التي تزرع الانتماء لدى المسلم، فقد حرص الإسلام على أن تكون الأسرة بيئة صالحة لأداء هذه المهمة، ومن الآيات التي تصنع قيماً عليا تربط بين أفراد الأسرة المسلمة، قوله سبحانه عز وجل: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم:12]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام:151]

إنَّ ما يقلق الإنسان وينغِّص حياته هو تفكيره الدائم في مصيره وكيفية دخوله القبر، مثلما انتهى إليه مصير أحبته. إن ذلك سيتسبب بالألم الكبير له، خاصة وأنه يظن جميع الأقارب والأحبة وقد آل مصيرهم إلى العدم، غير أنَّ الغبطة والمسرة سوف تغمره عندما يعلم أن هؤلاء قد نجوا وتخلصوا جميعاً من الموت النهائي والفناء والبلى والاندثار، وأنهم خالدون في عالم النور الأبدي منتظرين قدومه إليهم. قال الله تعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾[الرعد:23-24]

إزاء هذه المعرفة الناتجة عن الإيمان باليوم والآخرة تتجدد أواصر القربى وتحلو الصحبة. إن حالة الهبوط في مستوى العلاقة بين ذوي الأرحام ستسمو وترتقي متلازمة مع الموقف المعنوي الذي يكسبه الإنسان من الإيمان باليوم الآخر، ويحيل في نظره رحلة الحياة التي هي أشبه بالقبر الضيق، إلى سعة الدنيا والآخرة، عندها يستوعب الماضي والمستقبل معاً، فيريه وجوداً واسعاً بسعة الدنيا، بل بسعة تمتد من الأزل إلى الأبد" عندها يأخذ الاحترام الواجب المتوجب كل مداه، والى الأفق الأبد، يقول النورسي: "وعندئذ يقوم هذا الإنسان باحترام والده وتوقيره بمقتضى الأبوة الممتدة إلى الأبد" ويحب زوجته ويرفق بها ويعاونها لأنها أجمل رفيقة حياة له حتى في الجنة، ولا يجعل هذه الدائرة الحياتية الواسعة الفسيحة -وما فيها من علاقات وخدمات مهمة- وسيلة لأمور تافهة دنيوية ولا لأغراضها الجزئية ومنافعها الزهيدة". إن هذا الإيمان باليوم الآخر، يعكس الأمن والاستقرار على الأسرة، ويبعد عنها شبح العقوق وقطع الأرحام، وكل نوع من أنواع المشاحنة أو حتى الإحساس بالضجر وليس بالكراهية فحسب. وعندها فإنَّ الإنسان "يظفر بالصداقة التامة، والوفاء الخالص، والإخلاص الأتم، في علاقاته وخدماته، فتبدأ كمالاته وخصاله بالسمو والرقي بالنسبة نفسها، وتتعالى إنسانيته، ولكل حسب درجته." وكذلك فإن من نَعِمَ باستيعاب معنى الإيمان باليوم الآخر ومقاصده وأبعاده ومراميه، فإنَّ وجوده في هذه الدنيا سيتحول "ضيفاً مرموقاً

وكائناً سعيداً، ومخلوقاً ممتازاً فيها، يرقى فوق جميع الحيوانات، بل يصبح أحب مخلوق، وأكرم عبد عند رب الكون ومالكه."[1]

2 - المجتمع الكبير

وانتقالاً من الأسرة إلى المجتمع الأكبر، حيث الامتداد الطبيعي للأسرة، وتجمع بين أفراده مشاعر فطرية نتيجة روابط خاصة تميزهم عن غيرهم من الجماعات، نجد الإسلام قد حرص على تدعيم هذا المجتمع بروابط الحب والتكافل بين أفراده، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا" وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، "بِحَسْبِ امْرِئٍ مِن الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ."[2] وعن عبد الله بن عمر أَنَّ رسول الله قال: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة، فرَّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة."[3] وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "كنت مع رسول الله ﷺ فجاءه رجل من الأنصار فسلم على النبي ﷺ، ثم قال: يا رسول الله! أي المؤمنين أفضل؟ قال: أحسنهم خُلُقاً. قال: فأي المؤمنين أكيس؟ قال: أكثرهم للموت ذكراً، وأحسنهم لما بعده استعداداً، أولئك الأكياس."[4] وهكذا يستحيل التناقض بين الانتماء للإسلام والانتماء للأسرة أو الوطن. وفي ذلك تسلية للمظلومين والمستضعفين، ذلك أن من أسباب التمرد

---

(1) النورسي، سعيد. **رسائل النور، الشعاعات** (4)، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، القاهرة: شركة سوزلر للنشر، ط1، سنة 1415هـ/ 1995م، ص279-278

(2) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني: المسند، القاهرة: مؤسسة قرطبة، ج13، رقم 7727، ص159،)، ورواه مسلم (4/1986، رقم 2564) . وأخرجه أيضًا: البيهقي (6/92، رقم 11276).

(3) متفق عليه، والنص للبخاري، المرجع السابق، ج2، ص862 . ورواه مسلم في صحيحه باب تحريم الظلم، ج8، ص18، حديث رقم 6743.

(4) رواه الإمام ابن ماجة بسند حسن، المرجع السابق، ج2، رقم 424، ص419.

على المجتمع أو هجران الأسرة والانفصام عن الهوية، الشعور بالظلم، والقهر والإهمال والإهانة، من طرف تلك الدوائر الانتمائية، في غفلة تامة عن فناء هذه الحياة أو توهم لخلودها، فتقوض عرى المحبة والولاء والتكافل والإخلاص عند الإنسان، مما يجعل عمله أنانياً انتقامياً يتجلى في اللامبالاة أو الكراهية، فيغلب عليه غيابُ الجهد الإيجابي المخلص في تطوير بيئته الاجتماعية والمادية، وضعفُ روح العمل مع الجماعة والمؤسسات، والسلبيةُ في تلبية الدعوة إلى التعاون مع الآخرين في مجالات الخدمة العامة.

فلو أنَّ فرداً ظلم آخر في مالٍ أو في عرض أو في غير ذلك، وكذبَ عند القاضي، أو تستَّرَ على جريمته، وكان المظلوم يؤمنُ بالله واليوم الآخر، وأنَّ هذا لن يفوت على الله، ولا بد من الوقوف بين يديه سبحانه وتعالى لقول الله عز وجل: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء:47]، وكما قال سبحانه: ﴿ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ﴾ [غافر:17]، فإنّ هذا المظلوم إذا استطاع أن ينتصر من ظالمه في الدنيا، فله ذلك، (﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾ [الشورى:41] لكنه إن لم يستطع فلا يموتُ كمدًا ولا حزنًا، وإنما ينفتحُ له أفقٌ جديدة في هذه الحياة بعد أن ينسى مصيبته؛ لأنَّهُ يعلم أنَّها لن تضيعَ عند علَّامِ الغيوب.

إنَّ منهجَ العقيدة الإسلامية في اليوم الآخر تجعلُ الإنسان إيجابياً في هذه الحياة، وهو في أشد حالات الغضب والتذمر، لأنَّه احتسب أمره لله. أما إذا كان على غير هذا المنهاج من الإيمان بالله واليوم الآخر فلا يعيشُ بقيةَ حياته إلا وهو يفكر كيف ينتصرُ ممن ظلمه، وهو لا يستطيع، ويتربصُ بعدوِّه لينتقم منه، بكل السبل المتاحة له. لكن المنهاج الإسلامي يُربي في المؤمن أنَّ الوقوف بين يديه سُبحانه وتعالى للحساب وللجزاء في كتابٍ لا يُغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلاَّ أحصاها، لا بدَّ منه، وسيحصلُ على حقِّه كاملًا، ومن ثمَّ ينتقلُ إلى العمل الإيجابي، وعمل الخير الذي يفيد أمته. فالمؤمن الذي يعاني من البطالة ظلمًا، من دائرة من الدوائر

الاجتماعية، لا يضيع وقته وجهده في البحث على طرق الانتقام من الظالم، أو التقاعس واعتزال المجتمع يأساً وقنوطاً، وإنما يندفع متوكلاً على الله العدل الرحيم، لا يدخر جهداً في اتخاذ الأسباب المشروعة الموصلة إلى مصالحه الصالحة للمجتمع. إنَّ الحياةَ ومشاكلها وصراعاتها وغيرها لا يمكن أن تضفي على حياة الإنسان طمأنينةً نفسيةً عاملةً منتجةً في هذه الحياة، إلاَّ إذا أيقن الإنسان باليوم الآخر.

وفي هذا الاعتقاد باليوم الآخر رفع للهمة والتحفيز على العمل الصالح، وعلو الهمة، والسعي إلى عمل الخيرات. فالإنسان المؤمن باليوم الآخر يعيشُ في هذه الحياة وعنده قضيتان يقينيتان: إحداهما: أنَّ أي عملٍ من خيرٍ فهو محسوب. والثانية: أنَّ نتيجةَ هذا الحساب هو الجزاءُ من الله سبحانه وتعالى يوم القيامة. لذلك فإنك تجده يسيرُ في هذه الحياة ويعيشُ فيها خيِّرًا فاضلاً عاملاً منتجاً، فيعلم أنَّه إذا ابتسم في وجهِ أخيه فهي صدقة يجدها عند الله، ويعلمُ أنَّ الكلمةَ الطيبة صدقةٌ يجدُها عند الله، ويعلم أنَّهُ إذا أمر بمعروف أو نهى عن منكر، أو أنفق درهماً فهو عند الله يُرْبِيهِ حتى يكون يوم القيامة مثل جبل أحد!

والإيمان باليوم الآخر واليقين به يزيد المؤمن حرصاً على الأعمال الصالحات والاستزادة منها، والابتعاد عن الأعمال السيئة، فيستعد لهذا اليوم بما يحبه الله -سبحانه وتعالى- قال سبحانه: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات: 37-41]. وهذه الآية عامة في كل كافر آثر الحياة الدنيا على الآخرة، كما قال الإمام القرطبي.(1) فالمؤمن يحرص على طاعة الله بالبذل والعطاء والعدل والإحسان، رغبة في ثواب ذلك اليوم، ويبتعد عن المعاصي كالطغيان بكل صوره الاجتماعية، خوفاً من عقاب ذلك اليوم. فيتحول هذا الإنسان إلى إنسانٍ صالح يعملُ الخير في كل لحظةٍ وفي كل دقيقة، فالله سبحانه: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: 286]،

(1) القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري. **الجامع لأحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبي**، دمشق: دار الفكر، ج19، ص109 .

والمؤمن يعلم أنه يجد أعماله بعد ذلك عند الله: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [سورة المزمل:20]. لهذا تجدُ المؤمن دائماً يسعى ليعمِّرَ آخرته، يعيشُ في هذه الحياة في كل يوم وهو يعملُ الخيرات والأعمال الصالحة المتنوعة ليجد أجرَ ذلك عند الله تعالى: في خاصَّةِ نفسه، في صلاته، في عباداته، في ذكرهِ لله، في تربيتهِ لأسرتهِ، في تعاملهِ مع جيرانه، في بيعهِ وشرائه، في عملهِ ووظيفته، في سفره وإقامته، وفي كلِّ حالٍ من أحوالهِ، يحوِّل المؤمن هذه الحال إلى حالٍ فيها أجرٌ وثواب يجدهُ عند الله تبارك وتعالى.

وثمرة كل ما تقدم المحبة والأخوة بين أفراد المجتمع المؤمن، فتتآلف القلوب وتتضامن الجهود وتتضافر الأعمال، فتُنتج تنمية واستقراراً وأمناً؛ إذ يدرك كل مؤمن ومواطن صالح أن أعماله نابعة عن حب وطواعية وصدق سريرة، لأنَّ ذلك من تمام الإيمان واكتماله، كما قال ﷺ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه."[1]

إنَّ من خصال الإيمان المستحبة أن يحب المسلم لأخيه ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه فيأتيه بما يحب أن يؤتى به ويمنع عنه ما يحب أن يمنع عنه من الأذى، وينصح له ويجتهد في أداء حقوقه واحترامه وتقديره والنظر في مصالحه. ومن تحلى بهذه الخصلة العظيمة كان مستحقًا لدخول الجنة. فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ قال رسول الله ﷺ: "من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه"[2] و قال رسول الله ﷺ: "يا يزيد بن أسد، أتحب الجنة؟ قلت: نعم. قال: فأحب لأخيك المسلم ما تحب لنفسك"[3] وذلك أنه لما كان المسلم محسنًا لإخوانه في الحياة الدنيا مشفقًا عليهم، حريصًا على نفعهم جازاه الله بالإحسان

(1) متفق عليه، تم تخريجه من قبل.

(2) رواه الإمام أحمد في مسنده، المرجع السابق، ج11، ص399.

(3) الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله. **المستدرك على الصحيحين**، كتاب البر والصلة، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1411هـ/1990م، ج4، ص186.

في الآخرة وأدخله دار كرامته. فالإيمان باليوم الآخر كان حافزًا للفرد ليعزز انتماءه لأسرته ومجتمعه وأمته مراعيًا مصالح الإنسانية كلها.

فالإيمان باليوم الآخر يحيي في نفوس المؤمنين معاني الصبر والاحتساب، والرضا، والعفو والبذل في سبيل الله عز وجل، فالمؤمن يعلم أن الدنيا دار ابتلاء وامتحان، وليست داراً للجزاء والنعيم، فيعفو عمن ظلمة، ويقبل الأعذار، ويبذل وينفق في سبيل الله تعالى، ويضرب أروع الأمثلة في التضحية والفداء ويسعى إلى الخير ويقاوم الشر، لا يغش ولا يخدع، ولا يسرق، ولا يزني، وكل هذا لإيمانه باليوم الآخر. وهذا ما يغرس في أفراد المجتمع الأخوة والمحبة، مما يعزز الانتماء للمجتمع ويقوي من لحمته المحصنة له من كل مظاهر الفرقة والتشتت والعداوة.

وفي ذلك رفض الأنانية؛ فإنما يقدر على هذه الخصلة ويقوى عليها من رزق سلامة الصدر وكان قلبه خالياً من الغل والغش والحسد، فمن كان كذلك سرَّه ما سرَّ أخاه وساءه ما ساء أخاه. أما من كان يحمل في قلبه الغل فإنه يمنع من هذا الخير لمنافاته لما في قلبه من السوء. فإنَّ الحسد يقتضي أن يكره الحاسد أن يفوقه أحد في خير أو يساويه فيه، لأنَّه يحب أن يمتاز عن الناس بفضائله وينفرد بها عنهم، والإيمان يقتضي خلاف ذلك، وهو أن يشركه المؤمنون كلهم فيما أعطاه الله من الخير، من غير أن ينقص منه شيء. وقد مدح الله في كتابه من لا يريد العلو في الأرض فقال سبحانه: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: 38]. فيكون عضوًا فعالاً في بناء الأمة، يسعد بها، وتسعد به، يعمل لها، وتعمل له، يحافظ عليها وتحافظ عليه، فلا يعيش لنفسه بل يؤثر على نفسه أخاه ووطنه ودينه، وإن كان محتاجًا.

ولهذا امتدح الله الصحابة الكرام بشرف الإيثار: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر:9]، وقد ثبت في سبب

نزول الآية قصة عجيبة سطرها التاريخ وحفظتها الأجيال:[1] عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: "جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني مجهود – أي جائع ومتعب– فأرسل إلى بعض نسائه فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، فقال النبي ﷺ: من يضيف هذا الليلة؟ فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رحله –أي بيته– فقال لامرأته: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ، وفي رواية: قال لامرأته: هل عندكِ شيء؟ قالت: لا، إلا قوت صبياني، قال: فعلِّليهم بشيء، وإذا أرادوا العشاء فنوّميهم، وإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج، وأريه أنا نأكل، فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاويين [أي جائعين]، فلما أصبح غدا على النبي ﷺ فقال: لقد عجب الله من صنيعكما البارحة!

خاتمة

الإيمان بالله وباليوم الآخر يحقق للمجتمع الأمن والسلام، في زمنٍ عَزَّ فيه الأمن، ولم تتوقف فيه الحروب والصراعات الطائفية. وما ذاك إلا لأنَّ الإيمان بالله وباليوم الآخر يُلزم الإنسان أن يكف شرَّه عن غيره في سرِّه وفي علنه، فهو يردع الإنسان عن ظلم الآخرين وانتهاك حقوقهم، فإذا آمن أفراد المجتمع باليوم الآخر سلموا من ظلم بعضهم بعضًا وحفظت حقوقهم. وهذا من شأنه أن يجعل أفراد المجتمع يزيدون التفافًا وتمسكًا بوحدة المجتمع.

على مثل هذه المكارم من التضحية والإيثار ونكران الذات قام التكافل الاجتماعي في دولة الإسلام، وقامت معه الضمانات المعيشية على أساس من البر والخير والتعاطف والرحمة. فهذا الروح الجمعي على عهد الرسالة –كما يقول الدكتور أبو سليمان[2]– كان من أفضل حالاته وأعلى مستوياته، وإحساسُ أفراد المجتمع بانتمائهم ومسؤوليتهم وتضامنهم– بصفتهم أعضاء

(1) خمير، محمد عثمان. **منهج القرآن في تربية لإنسان**، القاهرة: المؤسسة العربية الحديثة، بدون تاريخ،ص89–88.

(2) أبو سليمان، عبد الحميد أحمد. **أزمة الإرادة والوجدان المسلم**، دمشق: دار الفكر، ط1، 2004، ص144.

في جسد الأمة والجماعة- كان على أشد ما يكون من الإحساس والتفاعل الوجداني إذ قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر:9] وبهذا الذي يطلبه منا ديننا الإسلامي إلى جانب ما لدينا من إمكانيات على النهوض والتقدم، أو بما يحدث في المجتمعات الأخرى، تتسارع جهود الإصلاح، وتنجح برامج التنمية، وتتناقص مظاهر الفرقة، وتتواصل أواصر البناء الاجتماعي، وتتحقق التنمية الشاملة والمستدامة لمجتمعاتنا.